دراسة في إستراتيجيات الحجاج عند المرحوم أحمد ديدات في كشف مغالطات القس أنيس شروش في المناظرة الكبرى

أ. حياة أحمد السّيد

مقدمة:

يعدّ الحجاج مفهوما مركزيا في كلّ حضارة إنسانية، واستجلاءه في كلّ منها بخصائصه ومميزاته، بتقنياته وإستراتيجياته، بمنطلقاته ونتائجه نظرا وإجراء يعطي صورة واضحة عن هذه الحضارة، وعن رؤيتها العامة للوجود، ومنذ أعمال شايم بيرلمان (١) أعيد لمُّ شتات البلاغة (الخطابة) التّي تفرقت أوصالها منذ عهد أرسطولتصبح مستغرقة كلّ خطابات الممكن والمحتمل، لأنّه "قام على إعلان القطيعة مع التّصوّر الدّيكارتي للعقل والاستدلال، ومع أنّه يلتقي مع أرسطوفي أنّه ثمة مناقشات / خطابات تتعلّق بالعلم(البرهان)وأخرى تتعلق بالبلاغة (الجحاج)، فالحجاج عنده يمكن أن يكون مقنعا من دون أن يخضعَ لحساب، كما يمكن أن يكون صلبا دون أن يكون علميّا".(٢)

والمناظرة واحدة من أشكال الخطابات الحجاجية، وبغضّ النّظر عن الحقل المفهومي لها وعلاقتها خاصة بالجدل، أوالمفاخرة، أوالمنافرة، أوالمقابسة والتّبكيت، فإنّها كما كلّ الأجناس الحجاجيةٍ من طبيعة تواصلية حوارية بالأساس، لذلك ألحَّ العلماء المسلمون على جعلها "النّظر بالبصيرة من الجانبين في النّسبة بين الشّيئين إظهارا للحق "، ما يعكس وعيهم المبكّر بأنّ الحقّ لا سبيل إلى اقتناصه بغير إجماع العقلاء على طلبه، وهذا الفعل هوالذّي يسمّيه الدّكتور طه عبد الرّحمن بالمُعاقلة التّي تفترض من صيغتها الصرفية أنّها فعلٌ جمعيٌّ لا فردي للعقل لتكون: "حالة تُكتَسَبُ بالتّعاون والتّشارك على إظهار الصّواب وتحقيق الاتفاق ". (٣)

تتأسّس المناظرة على طرفين اثنين يتواصلان، ويتحاوران حوارا فعّالا، له آثاره الملموسة عليهما معا، لكلّ منهما دعوى معينة أوقضية محددة يدافع عنها، ولذا يستعين بوسائل عدّة لإبقائها صامدة أمام الدّعوى الأخرى، إنما بشروط وكيفيات مخصوصة لا على سبيل الإطلاق، وهكذا وإن كثر التّناظر الدّيني في التّراث الإسلامي فإنّ ذلك بسبب أنّ القرآن الكريم نفسه رضي هذه السبيل في محاجته لمُتلقّين مختلفين وقفوا رافضين لتصوّره الذّي يؤسّسه، ولرؤية العالم الجديدة التّي يطرحها خاصة منهم :أهل الكتاب، والمشركين، ليثبت بما لا يدع مجالا للشّك أنّ القرآن الكريم خطاب تداولي حجاجي، يحترم الإنسان في كلّ زمان ومكان، وما مساحة الحرية والدّعوة للتّفكّر والتّدبر والتّعقل الكبيرة التّي تشغل القرآن الكريم إلاّ دليل على ذلك.

لا يوجد نشاط إنسانيٌّ في الإسلام لا يخضع لشروط وضوابط مستقاة من النّسق التّصوري الإسلامي العام، وعلى هذا فكلّ مجالات الخطاب تخضع هي الأخرى لتلك الضوابط، فكان في المناظرات مثلا شروط هي آدابُها، أوأخلاقها التّي يمكن أن تُجمَل في ركنين أساسيين :الركن الأخلاقي، ثم الآخر المنطقي الخطابي، واشتهرت عند الكثير من العلماء، فالإمام أبوحامد الغزالي ألحّ على الشّروط الأخلاقية للمناظر قبل وأثناء الخوض في المناظرة، في اقتضاء منطقي نفهم منه ضرورة تحرّي المُناظر الأعمالَ الصّادقة، واستقامة الأخلاق حتى لا تنتج هوّة / فجوة بين شخصه وكلامه فهذا ما يدخل في الحجاج بالسّلطة، والإيتوس، نستفيد من عمل رشيد الراضي في تحديد هذه الشّروط " مجرّدة ما أمكن من سياقها التّربوي العلمي الخالص الذّي اقتضاه المقام الخاص لكتابه إحياء علوم الدين "(٤) ومدى ملاءمتها شخص المناظر الإسلامي الكبير أحمد ديدات رحمه الله.

الشّيخ ديدات من أكبر دعاة الإسلام في العصر الحديث، اتّخذ من المناظرة وسيلة للدّعوة، لذلك تحاول هذه الدّراسة

إلقاء الضّوء على خصائص منهج المرحوم الدّعوي، واستراتيجياته الحجاجيّة في كشف مغالطات الخصوم الدّينيين، ومجابهة دعاويهم الفاسدة خدمة للدّين الإسلامي واللّغة العربيّة على السّواء.

١-الظّروف العامة للمناظرة وموضوعها:

في مدينة برمنجهام يوم ١٩٨٥/٠٧/٠٧ كان المرحوم أحمد ديدات في مناظرة مع واحد من كبار علماء اللاهوت المسيحي في بريطانيا فلويد إيجكلارك، وفي وقت المناقشة الّتي يُتاح فيه طرحُ الأسئلة من الجمهور خرج أنيس شرّوش لينقض شروط المناظرة بسؤالين مع أنّ المسموح به سؤال واحد فقط، وتحدّى ديدات مباشرة وعلنيا لإجراء مناظرة معه:"أتحدّاك لمقابلتي علنيّا"، وطبعا قبل المرحوم ديدات التّحدي بثقة نفس تضاهي بل تتجاوزُ ثقة شروش بنفسه: " يا مستر شرّوش، أنا أقبل التّحدي، وأكثر من ذلك أنا أعطيك شيكا على بياض لكي تحدّد مكان وزمان وكيفية إجراء المناظرة " (٥)، وبعد مراسلات عدة، عيّن المكان في قاعة ألبرت الملكيّة بلندن، والزّمان في اليوم الخامس عشر من شهرديسمبر العام ١٩٨٥، وموضوعها الأساس هل عيسى إله؟وشروطها كالتّالي:

- ٥٠ دقيقة للمناظر الأوّل، ومثلها للثّاني.
- للرّد ٠٨ دقائق للأوّل وكذلك الثّاني.

ووقت المناقشة، تُوَجّه الأسئلة كتابيّا بعدد متساولكلّ مناظر، وكلّ مناظر له صديق يساعده في المراجع.

٢- المغالطات في الحجاج والخطاب:

مَثَلُ المغالطات أوالسّفسطات في الخطاب كَمَثَل الأمراض الّتي تصيب الجسد، والخطاب الخالي من المغالطة هوالخطاب الفكري المستقيم السليم، فإذا تضمّنها صار فكرا سقيما تماما كالجسد الذّي تهاجمه الأمراض، وتلك كهاته، متنوعة وكثيرة، بل ومتفاوتة الخطورة، ففيها الهيّن الخفيف، وفيها الخطير الذّي إذا دخل الخطاب وقبله الفكر خربّته، وأفسدته وجعلته متهافتا بحيث يمكن أن نتحدث عن سُلَّميّة / تراتُبية للمغالطات (٦)، وإنّ البحث عنها واكتشافها ومواجهتها / تبكيتها في الخطاب لأمرٌ خطير لا نوافق أبدا بعض المعاصرين الذّين يعدّونها انحرافا طبيعيا يعتري الخطاب ولا يسلم منه أحد، فيدعون لذلك إلى عدم مقاربة هذه الظّاهرة من النّاحية الأخلاقية بالاقتصار على وصف مظاهرها الخطابية فقط، تأخذُ المغالطة حجمها وخطورتها من منتج الخطاب نفسه لمّا يتوفر في نيّته / مقصده إيقاع مخاطبه /متلقيه في مزلق حسب غرضه، أي أنّ وجودها في الخطاب ناتج عن إرادة المنتج لا من الخطاب في ذاته.

حضور المغالطة في الخطابات لا يحصل على نحوواحد يمكن تحديد مهامه الصّورية المضبوطة، وإنما يأخذ أشكالا وصورا مختلفة تتلوّن حسب السّياق والمقام وطبيعة اللغة ومعطيات الثّقافة...(٧)

موضوع المناظرة المقصودة مجموعة من الخلافات الكبرى بين المتناظرَين أحمد ديدات الذّي يمثّل المسلمين العرب منهم وغير العرب، وشروش ممثّل عن المسيحيين عموما:

-هل عيسى إله؟

- هل صُلب عيسى وما حقيقة الفداء؟ وما التّثليث؟

-هل الإنجيل كلمة اللّه؟

يمكنني ردّ كل الخلافات السّابقة إلى مسألة ألوهية عيسى الّتي يدّعيها القس أنيس شرّوش والّتي أضحت من مسلّمات الخطاب الدّيني في المسيحيّة، أقصد المسيحية بعد أن لحقها التّبديل والتّحريف لا المسيحية الحقّة كما حدّدها القرآن الكريم، والّتي لا يُعَدُّ المسلم مسلما حتّى يؤمن بها، وانطلاقا من خطاب شرّوش في المناظرة

هذه جملة من المغالطات نحصيها فيها قبل أن نحدّد إستراتيجيات المرحوم ديدات في مواجهتها: (٨)

×-مغالطة الاشتراك: توفّرها اللّغة بما تحتفظ به من مساحات الغموض والالتباس فيها، فاللغة ليست شفافة وبريئة، بل إنّ ما تخفيه أكبر بكثير مما تظهره، وهي ليست مرآة عاكسة للواقع بقدر ما هي صانعة له بالأساس. ولفي هذا تُعَدّ النّظرة التّداوليّة للّغة جدّ مؤَسَّسة ومتينة.

تحدث هذه المغالطة لمّا يكون للكلمات" أوالتّعابير معنيين على الأقل أحدهما مقصود، والآخر مفهوم، ويتمثّل هدف المغالط في جعل المفهوم يغاير المقصود بأن يوهم المخاطَب بأنّ الأمر يهمّ المقصود وغير المقصود معا، أوأنّ الأمرَ سيّان ولا فرق في الأخذ بهذا المعنى أوذاك."

تبدوهذه المغالطة الكبرى في الخطاب الدّيني المسيحي المحرّف عندما أُخذت كلمات من الإنجيل وأُعطيَت لها معان غيرُ

مقصودة خدمة للتّرويج للفهم أوالتّأويل المقصود:

أ- لمّا تحدّى شروش ديدات، قال: "لوكان القرآن حقا من الله...ويقاطعه ديدات: نعم إنّه من الله: يقول: لوكان القرآن حقّا من الله فإنّ القرآن يقول: السّلام عليّ يوم وُلدت، ويوم أموت، ويوم أُبعَث حيّا". لقد نقل شرّوش معنى الآية القرآنية إلى حجّة يثبت بها معتقدهم في الصّلب، وفي موت المسيح ثمّ قيامته وإنزاله من على الصليب كما يزعمون، بينما معنى الآية كما نعرفُ يوم القيامة الذي لا يعلم ساعته إلا الله سبحانه وتعالى، إن موت المسيح وقيامته مفهومين مختلفين عند ديدات وشرّوش، وقلب ديدات تأويل شرّوش الفاسد بالشّرح اللّغوي الواضح لكلمات شرّوش بعد تصحيح نطقها وتحديد الزّمن الصحيح لها.

ب- الأب والابن: يستدلّ شرّوش على الإله خاصتهم بأنّه مكوّنٌ من الأقانيم الثّلاث؛الأب والابن والرّوح القدس بنصوص من الإنجيل، ويردّ ديدات بأنّ هذه المعاني مأخوذة على أنّها مجاز، وليست حقيقة، فقبول المعاني الحقيقيّة تلك وتداولها يوصل إلى اللاّمنطق، وهذا بيانها:

× يقول ديدات (من حفظه) ردّا على أحد الحضور الذّي أورد نصّ : "أنا هوالطّريقُ والحقُّ والحياة "، الإصحاح ١٤/ إثباتا لألوهيّة عيسى": الجملة وردت في الإصحاح ١٠ الجملة ٣٠، ...الأعمال التّي أعملها تشهدُ لي، لقد تحقّقت لي معجزات بقدرة الله، وهي تشهد لي أنّي صادق فيما أبلّغ، ولكنّكم معشر اليهود لا تؤمنون بي لأنّكم لستم من خرافي، يقول: هل هويتكلّم على سبيل الحقيقة أم المجاز؟ طبعا على سبيل المجاز.وقال: قال لهم: خرافي تَسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني، وقال: لا يستطيع أحد أن يخطفني من يد أبي، أي من اهتدى لا يستطيع أحد أن يحيده عن الهدى، وأنا والأب واحد، غَرَضُنا واحد، فقام اليهود باتهامه بادعاء الألوهية فتناولوا حجارة ليرجموه"، لقد اتّهموه بأنّه ادّعى الألوهيّة فقالوا: "إنّك وأنت إنسان تزعم أنّك إله "، فيردّ عليهم بنص من التّوراة ": أليس مكتوبا في ناموسكم أنا قلت: إنّكم آلهة "، أي إنّ كلمة إله كانت تُستخدم وصفا لمقام بعض النّاس خصوصا علماء اليهود دون أن تعني أنّهم مستحقّون للعبادة. يؤكد ديدات هذه الحقيقة بنصوص من أناجيلهم نفسها": في إنجيل مَتّى ستجدُ عبارة أبي، أبوك، أبوكم، وكان النّاس يعتبرون الله أبا لكلّ إنسان على سبيل المجاز لا الحقيقة، وكان تعبير ابن الله مألوفا في لغة اليهود الذّين ظهر فيهم المسيح، جاء في سفر التّكوين ٦-٤:" إذا دخل بنوالله على بنات النّاس وولدن لهم أولادا "،. والذّي يُرجّح المعنى المجازي لهذه الكلمات، أنّ الأخذ بالمعنى الحقيقي يعطي خصائص لا تليق بالله تعالى تماما:

He did not beget - الله سبحانه وتعالى كما نؤمن نحن المسلمون لم يلد:

فهي لا تليق به سبحانه، وحتى لوHas begotten a son ولا نقول إنّه أنجب:

He is begotten ، not made قالوا للتّخفيف: " إنّ مولد يسوع ليس كذلك، إنّه مولود وليس مخلوق،

فأنا أسأل: ماذا تقصدون بأنّه مولود وليس مخلوق ".

إنه معنى مغالطي يشوه حقيقة الله تعالى، وينسب لها ما ليس فيها، وإذ سئل صاحبه كيف ذلك قيل له عليك أن تؤمن بذلك حتّى ولوقصر عقلك عن إدراك المعنى وحكمته.

وهكذا فمعنى الأب والابن والإله في الإنجيل كما التّوراة مأخوذٌ على المجازي لا الحقيق؛: فالأب هوالرّاعي الذي خلق خلقه، وتعهّدهم بالرزق والرحمة، لا الأب الحقيقي الذّي يلد تعالى سبحانه عن ذلك وتنزّه، والابن أوالأبناء هم عباد الله. استغرب ديدات: " أنا أقول كم لله من أبناء؟ السّواد الأعظم من المسيحيين يقولون إنّ له ابنا واحدا، وأقول لكم إنّكم لا تقرؤون كتابكم المقدّس، أولا تقرؤونه كما ينبغي، أتعرفون أنّ لله عددا لا يُحصى من الأبناء في الكتاب المقدّس".

لقد عدلوا عن المعاني الواضحة المعقولة، وتمسكوا بمعان خطيرة انجرّت عنها فُهومٌ محرّفة أضلّت عن السّبيل القويم، وكما ترى فكلمات اللغة ليست معزولة عن بعضها، وكل مفهوم يؤثّر في باقي المفاهيم بحيث تغدوالكلمات شبكات مفهومية متّصلة تشكّل التّصور العام لأصحابها، ومتى فسد مفهوم واحدة لحق الفساد النّظام ككل.

×- مغالطة الإحراج الكاذب:أوالأبيض والأسود، وتكون لمّا يقدّم المناظر وضعا أمام المخاطب يُضيّقُ من خياراته إلى نعم أولا فقط، مع أنّ هناك خيارات أخرى متاحة، يلجأ المناظرإلى تقديم الخيارين وكأنّهما متقابلين، والتّسليم

بأحدهما يفترض بطلان الثاني بداهة، وكما ترى فهي مرتبطة بالاختزال المفرط حين يختزل المجادل البدائل في نمطين فقط.

حضورهذه المغالطة ملحوظ في خطاب شروش والخطاب المسيحي الذّي يمثّله عموما خاصة في الأسئلة التي يطرحها، ويوهم المتلقّي ديدات والحضور والمشاهدين أنّ إجابتها لزوما ومنطقيّا هي نعم أولا...

يقول:"هل كان يسوع النّاصري كاذبا؟ أم كان مجنونا؟ أم كان إلها كما قال ذلك؟"، فإذا تذكّرنا أنّ شرّوش لم يُثبت أنّ المسيح قال أنا إله، نسأل:هل كونه ليس كاذبا يعني أنّه إله؟، وهل كونه ليس مجنونا يعني أنّه إله؟. ويقول: "لوقبلنا بحقيقة أنّ الله قادر على كلّ شيء، ويستطيع أن يفعل أي شيء لانحلّت المعضلة "، يقتضي كلامه من محاوره:

- إمّا أنّك لا تقبل بحقيقة أنّ الله قادر، ولذلك هناك معضلة،
- وإما أنك تقبل بحقيقة أن الله قادر على كلّ شيئ، ولذلك تحل المعضلة وتؤمن مثلي إذن بألوهية عيسى. المغالطة هنا هي محاولة محاصرة المتلقّي، وجعله يذعنُ لك في الحالتين، لكنّ المعضلة الحقيقيّة هي في تصوّر الله الذّي يدعونا شرّوش للإيمان به، وصورة الله كما نعرفها ويؤمن بها ديدات؛ إله شرّوش تجسّد في إنسان هوالمسيح ": أؤكّد لكم أنّ الإنسان لا يستطيع أبدا أن يصبح إلها، وإنّ هذا كفرٌ وهرطقة، و ملك الملوك وسيد السادة " Lard والسيد Gesus christ لكنّ الله يستطيع أن يصبح إنسانا، واسمه يسوع وفي المقابل يتحدّى ديدات أن " يتصوّر أحد أن يخلق الله إلها آخر " لأنّ الله حكيم، فما هي الحكمة في أن يخلق له شريكا خالدا وخالقا وقادرا... أليس هذا رميٌ للمسيحية التي هي من الديانات التوحيدية في براثن الشرك والكفر؟.

- يواصل شرّوش: "هل تعني كلّ هذه النّصوص المقدّسة أنّ عيسى الذّي وُلد بطريقة غير معتادة هومجرد إنسان فقط؟ أم تعني أنّه بحقّ هوالله مجسّدا"، يجعل شرّوش عيسى إمّا إنسانا وهذا حسب مقتضى كلامه إهانة له، وإنقاص من شأنه، وإمّا أنّه إله وهذا ما يستحقه...ليردّ ديدات بتقديم التّصور الإسلامي للمسيح: نعم هوإنسان، لكنه رسول وله معجزات تجعله من البشر المميزين الذّين اصطفاهم سبحانه لتبليغ رسالته، وكونه إنسان ابن امرأة طاهرة ولد بمعجزة لا يخرجه أبدا من جنس البشر دون أن ينقص ذلك من مكانته وقيمته، هذا دون أن ننسى وجود مغالطة أخرى في النص السابق، إنّ قول شروش " كلّ هذه النصوص المقدسة " يقتضي أن تكون هذه النصوص حاملة لدلالة واضحة تدعم الدعوى، وقبل ذلك لابد أن تكون لتلك النّصوص المصداقية، والثقة والصحة التّي لا يتسرّب إليها شكّ لتغدوفعلا نصّا مقدّسا ومحتواها يحمل سلطة لا تُرد، لكن ذلك غير صحيحأوهذا ما نعود له في عنصر آخر.

×- مغالطة التّركيب: أوتركيب المفصل، تقوم على ادّعاء أنّ ما يصدق على الأجزاء متفرّقة يصدق على الكلّ المؤلّف من هذه الأجزاء، حيث يربط أحيانا بين موضوعين لا علاقة بينهما بصورة توحي بضرورة قبول الاثنين معا، أوتركهما معا (٩)، انظر مثلا لقوله: " إنّ الخَلق والضّمير والتّاريخ هذا وذاك وكله يؤكد وجود الله...وإنما جهود البشر الجادة في العثور على الله "، إنه ينطلق من مقدّمات صحيحة، نقبلها نحن المسلمون وممثّلنا ديدات، فنحن نؤمن بالله تعالى وبوجوده، ونسلّم له أمورنا، لكن الخلاف هوفي ربط شرّوش بين وجود الله وهوما نؤمن به، وصورة الله المقصود، إن الله الذّي نؤمن بوجوده مختلف تماما عن إله شرّوش الذّي يدعونا للإيمان به. ومثلها قوله: " هل الله مفقود حقّا كي نبحث عنه؟ ألسنا نحن الضّائعين؟"، فمتى سلّمت معه أنّ الله ليس مفقودا ليبحث عنيThrought Ghrist وجب أن تسلّم له بصورة الله الخاصة به، صورة ذلك الإله الذي يأتي من خلال

وعنك...

×-مغالطة الأسئلة المتعدّدة: أوأخذ مسائل كثيرة على أنها مسألة واحدة، وتكون عندما يدمج المناظرالمغالط عدة أسئلة لتمرير وجهة نظره، لأنّك ستجيب عنها وكأنّها سؤال واحد فيما أنّها تمثل مجموعة قضايا كلّ واحدة تستلزم إجابة خاصة، ولذلك على المتلقّي / المخاطَب أن يفرّع هذه الأسئلة ويجيب عنها واحدة واحدة "، مثالها: "ماذا كان وقد انتهرَ الرّيح لتطيعه، وتكف عن التّلاعب بالسّفينة، ومشيُه فوق الماء، وصعوده إلى السّماء بعد أن افتدى أخطاء البشرية بدمه، وقدرته على نزع الحياة؟..." تلاحظ كيف يجعل شرّوش

من النّتيجة المراد إثباتها مقدّمة يبني بها استدلاله الخطابي، فديدات وكلّ مسلم لا يؤمن بفكرة الفداء تلك، فكيف يجعل منها مقدّمة في حجاجه، ومقدّمات الحجاج تفترض أن تكون ممّا يقبل به المتلقّي أكثر من افتراض صحتها كما ألحّ على ذلك بيرلمان، وأمّا باقي الأسئلة فيمكن الإجابة عنها بأنّها معجزات أيّده الله تعالى بها تعينه على أداء رسالته، وانظر إلى قوله أيضا: "من صعد إلى السّموات نزل؟ من جمع الريح حفنتَيه؟ من صرّ المياه في ثوب؟ من ثبّت جميع أطراف الأرض؟ ما اسمه؟ ما اسم ابنه إن عرفت؟" هذه مغالطة المصادرة على المطلوب.

- مغالطة المنحدر الزّلاق: أو لعبة الدّومينوسبة إلى الكيفية التّي تنهار بها قطع الدومينو، فالبدء بسلوك سيء ينتقل بنا عبر سلسلة منحدرة لنصل إلى الهاوية، وهكذا الأمر في الأقوال، تظهر هذه المغالطة في حالة أراد المناظر أن يؤكّد أنّه كلّما تقدّمنا في استخلاص النتائج انزلقنا أكثر جهة الخطأ، فلندلّل على قضية ما نعمد إلى تقديم أدلّة مرتّبة بشكل يجعلها أقل قبولا كلما تقدمنا، وممكن المغالطة أساسا أنّ حلقات هذه السّلسلة أحيانا – وليس دائما – ليست مترابطة كما يُحاول المغالط أن يقدّم، بل يوهم أنّ بينها علاقة، لاحظ مثلا قول شرّوش: "إنّ الله يحبّ أن نؤمن جميعا أنتم وأنا، نؤمن بعظمته من خلال الإيمان بابنه يسوع المسيح، إلهنا وربّنا لأنّ الله قرّر أنّ من يؤمن بابنه الوحيد المولود له لن يهلك، بل سيحظى بالحياة الأبديّة ".وهكذا أصبح الإيمان بالله مشروط بالإيمان بابنه، وعند ذاك يحصل الخلاص والنجاة، تبدوالسلسلة التي يقدمها ديدات أكثر منطقية وتماسكا:

الإيمان بالله ⟵ بصفاته وتصوره في الإسلام ⟵ كل فرد مسؤول عن أفعاله ⟵ الخلاص بالإيمان وفعل الخير، فهناك حساب عسير وعادل ولا تزر وازرة وزر أخرى....

- مغالطة التّعميم المتسرّع: لمّا تكون العينة المأخوذة كحجة لا تمثل الكل، أوأنّها غير كافية لإصدار حكم يسري على كلّ العينة، بمعنى أنّه لا تتوفر فيها الشروط المطلوبة من حيث الكم والكيف، وظفها شروش لإثبات: صدق أخبار الإنجيل وما فيه، وصدق ادعائه ألوهية عيسى عليه السّلام.

يقدّم أدلة من القديم (سلطة التّراث) عن الذّين آمنوا بألوهية عيسى:" فلمّا وُلد يسوع سمّي بالمولود الملك وليس "لكن من فعل ذلك؟إنّهم مجوس يعبدون النّار خروا ليسوع في مولده، هل المجوس حجة «prince »

لا ترد؟، أوذلك المجنون في إنجيل مرقص: " لمّا رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له، وصرخ بصوت عظيم وقال: مالي ومالك يا يسوع ابن الله العلي " مرقص: ٥-٦، أوما ورد في إنجيل لوقا من أنّه كان يُعبد من أعدائه: " وقال لهم: كيف تقولون أنّ المسيح بن داود؟ وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرّب لربّي: اجلس عن يميني حتىّ أضَع أعداءك موطئا لقدميك، فإذا به يدعوه ربّا فكيف يكون ابنه " لوقا:٣-٤١-٤٤.

إنّ هذه العينات المأخوذة كدليل على الدّعوى لا تحظى بالسّلطة التّي يحاول شروش إيصالها، فالسّلطة هي تلك المنزلة الراقية العلمية والفكرية للمرجع الذّي نسوق الكلام منسوبا إليه.وأحيانا تكون هذه السلطة مجهولة أصلا مماّ لا يتوفّر معه إمكانية الحكم عليها وبمكانتها، يقول: "وَرد في رسالة بطرس الرسول، الإصحاح الأول: ٢١-٢٢:...وإنّ كل نبوّة الكتاب ليست من تفسير خاص..بل تكلّم أناس الله القديسون مسوقين من روح القدس؟" من هم أناس الله هؤلاء؟ وكيف نحدّدهم؟ هل من المعقول أن نثق بكلامهم دون أن نعرفهم؟ يقول ديدات: "هذا كلام عام وغير دقيق".

× - مغالطة رجل القش:

الفعل المُناظريّ شبيه بالحرب العسكرية، فكما يبحث المحارب عن نقاط ضعف في معسكر خصمه / عدوه ليدمره ويشتّت جمعه، كذلك المناظر يوجه جهده إلى تقصّي الحجج الأضعف في خطاب خصمه لإبطالها ونقضها –خصوصا إذا كان همّ المناظر الفوز والنصر بغضّ النّظر عن الحقيقة – ثم يوحي بأنه نقض الخطاب ككلّ. ولها عدة آليات مثلا: (١٠)

- انصراف أحد المتحاورون عن الدعوى التّي عرضها المناظرُ الآخر فعليا إلى دعوى أخرى يتفنّن في بيان عوراتها ونقائصها.
- اجتزاء بعض الحجج من البناء الكلي الذّي قدّمه المحاور ونقدها ثم الادّعاء بأنّ النّقد قد أتى على البناء الحجاجي ككل.
- التّهوين من قيمة حجج الخصم، وإفراغها من مظاهر الغنى التي

تحويها.

- الاستفراد بممثّل ضعيف لمذهب من مذاهب الخصم وكسر حججه، ثمّ الإيهام بأنّ ذلك ينسحب على جميع حجج هذا المذهب.

يوهم شرّوش الحضور والمشاهدين بأنّه تمكّن من اكتشاف نقاط ضعف خطاب ديدات، يقول مثلا: " المشكلة يا سيّدي العزيز كامنة في أنّك رغم قولك بكلّ تأكيد وبكلّ إيمان: الله أكبر أكثر من ٤٠ مرة، فإنّ الله عندك ليس كبيرا إلى حدّ أن ينجز مثل هذه المعجزة (التّجسّد في إنسان)"، بحيث ردّ شرّوش كلّ حجج ديدات في نفيه لألوهية عيسى، وصلبه وافتدائه أخطاء البشرية بدمه إلى عدم إيمانه بعظمة الله التّي تجعله ينجز تلك المعجزة، وإذ يتمّ التّشكيك في إيمان ديدات يتهاوى صرح حججه كاملا لنعود إلى مغالطة الدّومينوالسابقة، يؤكّد شرّوش قوله السّابق بـ: "إلى متى تبقي الله بعيدا عنّا، غير معنيّ بنا، مستبدّا بنا نحن الذّين خُلقنا على صورته "، وكما تلاحظ فإنّ اجتزاء هذه النّتيجة بشكل غير مناسب مقصودٌ مبنيّ على مغالطة الأبيض والأسود السابقة، حيث يكون أمام ديدات إمّا الإيمان بأنّ الله قريبٌ ومحبٌّ لأنّه المسيح الذّي افتدانا بدمه، أوعدم الإيمان مطلقا، فيما أنّ ديدات (والمسلمون) يملكون ويقدّمون خيارا آخر قويا وسليما عن حقيقة الله تعالى الذّي لا مثيل له ولا نظير، والذّي هوأرحم بالإنسان من أمّه التي ولدته، والذّي هوأقرب إليه من حبل الوريد، والذّي هوعادل وقوي وخالد لا يفعل شيئا عبثا...

اعتقد شروش أنّه عثر على ما يثبت دعواه من القرآن الكريم نفسه-دون أن ننسى أنّه عربيّ ولغته العربية الأم ممتازة- في موضعين؛ قيامةُ عيسى في مفهومه بعد الصّلب، ومعرفته الغيب وموعد القيامة،

يقول:" القرآن نفسه يشهد أنّ يسوع هوالشّخص الوحيد الذّي يعرف موعد السّاعة "، وقوله عن تحديه لديدات قبل المناظرة الكبرى: " لوكان القرآن حقّا من الله، فإنّ القرآن يقول: والسّلام عليّ يوم وُلدت، ويوم أموت، ويوم أُبعث حيا...وبناء على ذلك فإنّ عيسى قد وُلد، وهوقد مات، وهوقد قام مرّة ثانية "، لقد اجتمعت هنا مغالطات عدة: معرفية، ولغوية ردّها عليه ديدات بأنّه ما يجب أن يفهم ذاك الفهم خصوصا وهوالعربي ويعرف أساليب العربية...فالقيامة المقصودة هي يوم الآخرة التّي لا يعلمها إلاّ الله تعالى وليس قيامة عيسى بعد الصلب والفداء، والقرآن الكريم ينقض دليل شرّوش صراحة لا ضمنا، يقول تعالى: " يسألونك عن السّاعة أيّان مرساها قل إنّما علمُها عند ربي لا يجلّيها لوقتها..." الأعراف /١٨٧، ومكمن خطر هذه المغالطة يقع ضحيّته كلّ من لا يتمكّن من العودة للقرآن الكريم نفسه، سواءٌ بلغته العربيّة التّي أُنزل بها وهذا هوالأفضل والأسلم، أوبترجماته الصّحيحة في اللّغات الأخرى، لذلك أُرجّح أنّ شرّوش لا يقصد التّأثير في المتلقّي المحدّد أمامه أحمد ديدات وإنّما يستهدف متلقّين آخرين لا يعرفون العربيّة ولا يمكنهم العودة للقرآن الكريم وفهمه بلغته العربيّة سواء كانوا مسلمين أوغير مسلمين حتّى يتأكّدون بأنفسهم من صدق دعوى شرّوش من كذبها.

×- مغالطة تجاهل المطلوب: بأن يتجاهل المناظرُ ما يستوجب البرهنة عليه، أويبرهن على شيء آخر ثم يوهم أنّه قدّم الدّليل بالمراوغة، أوإثارة العواطف أوالعدول إلى طريقة النّتيجة غير الملائمة، والحقّ أنّني أرى المناظرة كلها من جانب شروش قامت على هذه المغالطة، فإثبات ألوهية عيسى يقتضي منطقيا أن يكون عيسى عليه السّلام قد ادّعاها، وقد قال بما لا شك فيه: أنا إله، أوابن الله فاعبدوني، فالمعنى المعجمي لله هوذاك المستحق للعبادة، أوالمعبود، أي أنّ هناك مقتضى معجمي في كلمة الله، أكّد ديدات:" كنت أرجوأن يقدّم لنا شرّوش مثل هذه الجملة ولكنه لم يفعل "، يؤكّد: " صدّقوني، صدّقني سيّدي المدير، أيّها السّيدات والسّادة لا توجد جملة واحدة في ٦٦كتاب التّي يتكوّن منها العهد القديم والجديد يقول فيها ذلك ".

عن معتقد– The holy trinity "الثالوث المقدس" أو

"جاء في تقرير نشره مؤتمر الكنائس العالمي أنّ الأب إله، والابن إله، والرّوح القدس إله، ولكنّهم ليسوا ثلاثة آلهة بل هم إله واحد... وهم كلهم قادر واحد؟ "، وأدلّتهم تستند إلى الرّقم ثلاثة الذي نجده في ؛ الطّبيعة بحالة المواد: صلبة وغازية وسائلة، والهواء الذّي يتكوّن من ثلاث ذرّات، والشّمس هي ضوء وحرارة ودفء، وهوأعاد الحياة لثلاثة أشخاص طفل وشاب وكهل، وأنكر بطرس إلهه ثلاث مرات، ثم أعلن حبّهله ثلاث مرات، وشهد ٣ من الحواريين صعوده إلى السّماء، واستمرّ بقاؤه على الأرض ٣ سنوات...

يواصل شرّوش حججه المتهاوية في

هذا المعتقد ويقول:" وهذا الإله الواحد الذّي ينكره الكافرون يظهر ويُقدّم نفسه لنا كإله ثلاثي الأقانيم، إنّ هذا الاكتشاف ليس اكتشافي، لا، هذا هوتعبير الله عن نفسه في الطبيعة والإنجيل وبطرق أخرى...

It his own revelation of himself in nature ، the bible and in other ways

ألمح هنا مغالطة السّببية الزّائفة أوبعده إذن بسببه (١١) التّي تقوم على تأكيد وجود علاقة تَنَاتُج انطلاقا من مجرّد ملاحظة التّعاقب بين حدَثين معيّنين، ووجه المغالطة أنّ النّاتج ذاك قد يكون عرضيا وليس منطقيا كما يحاول المغالط أن يوهم مخاطبه به، في هذه الحالة نسأل:هل وجود الرّقم ثلاثة (لوصدقت تلك المقدمات) فعلا ينتج عنه أنّ الله ثلاثي الأقانيم؟؟؟.

×- مغالطة عبء التّدليل أو استغلال الجهل: Barden of proof

يبدوالخطاب الحجاجي عند شرّوش متهاويا في جوانب عدة، ولمناقضته المنطق في عديد القضايا خاصة محاولة جمع فكرة التّثليث مع قضية التّوحيد يلجأ إلى التّهرب من إثبات الدّعوى بالمقبول والمعقول من الحجج على اختلافها بأيّ شكل من أشكال التّهرب، انظر في كلام شروش: "الإله الذّي يكشف لنا عنه الإنجيل إنّما هواله واحدٌ...لا تدركه عقولنا المحدودة، وهوغامضٌ لا يصلُ إليه فهمنا..."، الأمر متعلّقٌ بهداية اللّه التّي يعطيها لمن يشاء... وعليك أن تؤمن بهذه الدّعوى:"إنّ اللّه الإنسان فكرة مضحكة طوال التّاريخ، لكن هذا هوالإله الإنسان الأوّل ة الأخير بحقّ هويسوع المسيح".

هذا الأسلوب دارج في الخطاب المسيحي عامة، فهذا القس توفيق جيد يقول: " إنّ الثّالوث سرّ يصعب فهمه وإدراكه، وإنّ من يحاول إدراك سرّ الثّالوث كمن يحاول وضع مياه المحيط في كفةّ " (١٢)، إنّه يدعوالى تعطيل العقل، وإيقاف حركة الفكر الباحثة عن السّلامة والاستقامة فيما يُعرض على ذاك العقل من قضايا، وأيّ قضايا إنّها مصير الإنسان.

يميل شرّوش تعويضا عن النّقص المنطقي الفادح في خطابه إلى الاستعانة بعدّة آليات عاطفية خاصّة بتوظيف الإيتوس حينما يبغي المناظر (المخاطب) عموما تشكيل صورة عنه انطلاقا من خطابه تمتاز بالقوة، أوالصدق، أوالذّكاء، ... حسب الجنس الخطابي لتؤثّر على المتلقي، ويكون لهذا العنصر فاعلية إذا تطابق الإيتوس الخطابي (الصورة التّي ينتجها الخطاب) مع صورة المخاطب الحقيقية قبل الخطاب، يرسم شروش صورة تمتاز بالثّقة لحدّ الغرور؛بداية من تحدّيه العلني لديدات، ثم قوله في بداية خطابه: "لا تستمرّ في قتال العدوإذا استسلم"، ومتى استسلم ديدات؟، أوطلبه من الحضور الوقوف وهويقرأ مقطعا من الإنجيل مهما يقدّمه على أنّه من عند" اللّه " ويردّ ديدات بأنّه من كلام المترجم "بولس" إلى العبرانيين، كما يبدوشرّوش محبا للخير لكل البشر، ولذلك يتحمّل عناء الدّعوة إلى الحق (حسبه)، ويصبر على كلّ أنواع البشر؛الجاحدين والكافرين والغافلين ويقدّم لكل منهم ما يناسب قدراته العقلية ليقنعهم باتّباع طريقه، طريق الخلاص، ولذلك لا يتوانى عن اتهام مناظره المرحوم أحمد ديدات بالتناقض، أوالقصور الإيماني ولكن بلطف وتهذيب، وهذا قوله: " هكذا يناقض السّيد ديدات نفسه عندما قال في محاضرته بمدينة برمنجهام في شهر يوليو: أنا أصدّقُ كلّ كلمة قالها عيسى المسيح في الأناجيل". حلُّ ما يوهم شرّوش بأنّه تناقض بسيط جدّا، ما قاله المسيح حسب ديدات ليس هوالذّي قاله حسب شروش. تنوّعت المغالطات في خطاب شروش وتفاوتت خطورتها، لكنّها مؤتلفة أنتجت خطابا متهافتا، متهاويا، عاطفيا يحاول الإحالة على شواهد وأدلّة تاريخية غير متفق عليها، ويوظّف طاقات في اللّغة لتأويلات محرّفة بعد إبعاد النّصوص عن معانيها الواضحة الصّريحة، و...، ولأنّ هذا الخطاب مع ضعفه المنطقي الاستدلالي العقلي الواضح يتّخذ من استراتيجية الهجوم، والانتشار بمقولة التّبشير/ التنصيرمنهجا له كان لزاما على الأطروحة الإسلامية أن تواجهها، أوّلا للرّد على الزّيف الذّي تلصقه تلك بالإسلام، وثانيا لتقديم البديل الإسلامي السّليم على العقول التّي هي أفضل موضع تنبت ثماره الإيمانية فيه، وكان لهذا الفعل الراشد الجبار فرسان أشدّاء من بينهم الشّيخ أحمد ديدات – رحمه الله –الذّي أكّد قولا وعملا أهمية المناظرات في الدّعوة إلى دين اللّه تعالى الحقّ، وأركّز على استراتيجيّاته الحجاجيّة حصرا في المناظرة المقصودة:

٣- الاستراتيجات الحجاجيّة ودورها في الخطاب:

من المفاهيم الحجاجيّة الخطيرة

في تحليل الخطاب مفهوم الإستراتيجيا نظرا لما له من صلات ببيان مضمرات القول التّي هي في منتهى الأمر مقتضياتُه وحقائقه التّي تشدّ نسقه الجامع، وتقيم وحدته والتآمه " (١٣)، وقد جاء هذا المصطلح من ميداني الحرب، واللّعب (١٤) عندما عُدّت الخطابات الحجاجية عموما شكلا من أشكال الصّراع، وميدانٌ تتمّ فيه حروب بوسائل غير السّلاح العادي، وعلى هذا فقولنا:المناظرة حرب هي من قبيل الاستعارات التّصوّرية التي قدّم لخلفياتها المعرفية وأمثلتها التّطبيقية جورج لايكوف، ومارك جونسن في كتابهما المهم الاستعارات التي نحيا بها، لمّا قرّرا أنّ الاستعارة فعلٌ تصوّري فكري يتمّ به فهم ميادين تصورية بأخرى تصورية بفضل جملة من الإسقاطات الانتقائية المنظّمة (١٤).

تتميز الإستراتيجيا بأنّها: - نشاط واعي، مقصود، لا اعتباطية فيه ولا عبث.

- لا يمكن أن نتحدّث عن طريقة واحدة في تطبيق الإستراتيجيا، إنها مرتبطة بالسّياقات والظّروف التي يمر بها صاحبها.
- ليست الإستراتيجيا هدفا، أوغاية، بل هي سبيل تُسلك للوصول إلى ذلك أوتلك.
- لا يخرجُ تطبيق الإستراتيجيا على منفعة / فائدة ما يبغي صاحبها تحصيلها.

أ- الإستراتيجيا الأخلاقية العامة:

استفادة من الشّروط التي حددها الغزالي نقول:

- يقدم ديدات نفسه مناظرا مدافعا عن الإسلام والمسلمين، وعُرف من سيرة حياته احترامه للإسلام، وإقامة شعائره من صلاة وصوم....
- ثبتت الحاجة إلى هذه المناظرات، نظرا للخطر الذّي بات الزّحف التّنصيري يشكّله ليس على المسيحيين فقط باعتبارهم ضحايا لخطاب مضلّل، ولكن على النّاس من مسلمين وغير مسلمين خاصّة الملحدين أيضا، وعلى ذلك لا يدفع ديدات إلى هذا الفعل هوى نفسي أوميل ذاتي، وهي أي المناظرة ليست مجرّد ترف أوزخرف، أوممّا تتقصّد منه الشّهرة، إنّه واجب ديني تحسّس أهميته ديدات في حياته مذ كان صغيرا فاختار مواجهته، وتنبيه المسلمين إلى ضرورة انتهاجه، وعمل من بين ما عمل على تأسيس مركز لتدريب الدّعاة.
- لايناظر ديدات أشخاصا يمكن أن يُتّهم بأنّهم ليسوا من مستواه، فكلّ مناظريه كانوا من القساوسة أوالعلماء المختصين في مقارنة الأديان، وشروش له مكانة علمية ودينية كبيرة.
- يلتزم ديدات بآداب المناظرة من مثل: الالتزام بموضوع المناظرة لا يخرج عنها، واحترام المناظر كلّ أشكال الاحترام، وعدم مقاطعته، وعدم الإطالة أوالاختصار في غير محلهما، بحيث أقول إنّه احترم ما وضعه غرايس بول في مبدأ التّعاون الحواري التّداولي فعلا.

يقوم ديدات بمراعاة الإستراتيجيا الأخلاقية أسوة بالرّسول الكريم، وبمبادئ التّصور الإسلامي المعتدل لهذا الفعل، ففي النهاية هولا يقوم بفعل بدعة لا صلة له بتاريخنا الإسلامي، بل لهذا الفعل جذوره العريقة التي تؤتي ثمارها، وخصوصا ونحن نعلم أنّ نجاح الحجاج لا يتأتّى باللغة فقط، بل وبالأخلاق أيضا.

ب -إستراتيجيا البيان(١٥):

انطلاقا من أنّ القرآن الكريم كلام الله المبين، فالمسلمون في تفسيره وفهمه لابدّ أن يسلكوا السّبيل ذاته من الوضوح والبيان توافقا وتوازيا، ويظهر هذا جليّا في اعتماد الشّيخ ديدات منهجا يمتاز باعتماد خطوات عملية، وقولية غاية في الوضوح والدّقة تجعل دعواه تصل إلى الآخر بصدق وشفافيّة.

جـ - استراتيجيا صون المعتقد:

من خلال التّأكيد على الدّعوة إلى التّوحيد، والتّأكيد على أنّ القرآن الكريم هوالدعوة الأخيرة الصّادقة للتّوحيد، ولهذا يسمّي القرآن الكريم العهد الأخير لجذب المتلقين ودفعهم إلى الإطلاع / والتّعرّف عليه في مقابل العهد القديم (التّوراة) والعهد الجديد (الإنجيل).

لقد خرجت المسيحية عن التّوحيد بعد أن دخلتها مقولة التثليث التّي غدت من مسلمات المعتقد المسيحي لدى كل الفرق المسيحية: ولذلك يتساءل الشّيخ ديدات طالبا الدليل – ومن حقه كمعترض أن يطلبه –":الأب إله، والابن إله، والروح القدس إله، وكلهم إله واحد، أية لغة هذه؟هل هذه إنجليزية؟ قولوا لي وأنتم معشر الإنجليز والأمريكيين: قولوا لي ما إذا كانت هذه لغة إنجليزية "

باعتماد حجة التعريف:"كل واحد من هذه الأشخاص الثلاثة له مفهوم مغاير

متمايز عن الآخر، ولوقلنا إنها تسميات لشيء واحد لقالوا: كلاّ، إنّ كلا منهم مختلف ومتمايز عن Distinguished cancept فكيف يقولون إنّ ثلاثة تصورات عقلية تتمايز عن بعضها هي شيء واحد، إن العقلperson different الآخر، أي يرفض أن تكون ثلاثة واحد وإلى الأبد، ولذلك كان البديل الإسلامي لله سبحانه وتعالى الواحد الذي لا شريك له ولا مثيل ولا نظير هوالأنسب عقليا ومنطقيا وإلى الأبد.

د- استراتيجيا المواجهة والتبكيت:

أهم استراتيجيا عند ديدات، وبفضلها نقض دعاوي المناظر شروش:

- عيسى إله، وابن الله؟
- التثليث
- الإنجيل كلمة الله.

× الرّد الطّبيعي على الدّعوى الأولى هوبإثبات أنّ عيسى بشر، إنسان، وهورسول من رسل الله تعالى، وقد اعتمد ديدات على جملة من الأدلة أهمّها أنّ عيسى له خصائص البشر، من أكل، وشرب، وختان، ثم هوولدته أمه، و"أيّ شخص ولدته أمه لا يمكن أن يكون إلها، إنّ هذا ما يقول الإنجيل أيضا ".أيوب ٢٥-٦٤ و"الملائكة أسمته وهوفي رحم أمّه"، هل ذالك الصّبي الذي لا حول ولا قوة له حال ولادته إله؟، هل هذا يقبله الذهن البشري؟ لقد تغاضى شرّوش عمدا عن ذكر نصوص من الإنجيل تثبت أنّ عيسى بشر، وأنّه رسول من ربه، ولكنّ ديدات المناظر الفطن الذّي أمضى أكثر من أربعين سنة في دراسة الكتاب المقدّس، ويحفظه ويفهمه بصيغه المتعددة على إختلافها لا يفوته فضح هذه المغالطة بذكر:

- النّصوص التّي تثبت دعوة المسيح إلى عبادة الله الواحد من الإنجيل نفسه، يقول:" أبي الذّي أعطاني إياها هوأعظم من الكل " يوحنا ١٠-٢٩، وقال: " أبي الذّي أرسلني "، يعتمد ديدات حجة التقسيم، حيث يفتت الأدلة في دعوى الخصم واحدا واحدا ويرد عليها:
- إذا كان ميلاد عيسى دليلا على ألوهيته، فباعتماد قياس الأكبر على الأصغر يكون آدم عليه السلام أولى بالألوهية، وحتّى ملكي صادق الذي يعدّه شروش ظهورا آخر للمسيح هوأولى بالألوهية إذن، لأنّه حسبهم وُلد من غير أب وأم؟.
- المعجزات التي أيّد بها عيسى عليه السلام ليست دليلا على ألوهيته بل على بعثته رسولا، فهونفسه يقول في أناجيلهم:" إذا كنت بأصبع الله أخرج الشياطين." توما:١١-٢٠ وقال: "أنا بروح الله أخرج الشياطين " متّى /١٢-٢٨، ألا يُفهم من النصوص المُغيّبة في مناظرتهم هذه اعتراف عيسى بأنّ الله أعطاه القوة ليحقّق المعجزات؟.
- ذكر شروش أنّ من علامات ألوهيته معرفة موعد قيام الساعة، وكانت أذلته متهافتة كليّا، "فليس القرآن نفسه من يكذّب شروش ولكن حتىّ الإنجيل، ففي إنجيل مرقس:"وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة التي في السماء ولا الابن ولا الأب" ١٣-٢٥.وحتى لوعرف من أخبره بذلك؟ ألا يدلُ ذلك على انفصال بينه وبين القادر الآخر.

يردّ ديدات دائما بآيات من القرآن الكريم، ولكنّه ولأنّه يعلم عدم اعتراف شروش بالقرآن الكريم وسلطته لجأ إلى حجّة حصان طروادة، حيث هدم كلّ أدلّة شروش:

- نصوص شروش في ألوهية عيسى من الأناجيل.
- نصوص ديدات في نفي ألوهية عيسى من الأناجيل نفسها.

منطقيا ينتج تحطيم لقداسة تلك النصوص، وإثبات أنّها محرّفة، أوعلى الأقل تمّ تأويلها تأويلا فاسدا.

- مع كفاية هذه الأدلّة حجاجيا، يواصل ديدات هجومه على الدّعوة الفاسدة بألوهية عيسى، ويفترض أنّ هذه الدعوى صحيحة ويتساءل: إذا كان عيسى إله، فأنتم تقولون بأنّه مات، فهل الإله يموت؟، كيف تناقضون أنفسكم وأنتم تقولون:إنّ الله خالد لا يموت؟وإذا مات: ماذا يحدث لمخلوقاته؟، وإذا كان قد مات ودُفن في أحد المدافن لمدّة ثلاثة أيام وثلاث ليال...من الذّي سيطر على العالم.يا له من إله، في مقابل الله الذي يقدمه القرآن:واحد لا شريك له، حيّ قيوم، هوالأول والآخر...إلى آخر ما يليق بالذّات الإلهية العليّة العظيمة..
- أمّا الرّد على دعوى التثليث فكما ذكرنا سابقا اعتمد ديدات: التّناقض المنطقي أولا، والزّيف المعرفي ثانيا، وتأويلهم الفاسد للنّصوص المقدسة ثالثا حججا تدحض دعواهم، ويؤكد على أهمية اللغة ومعرفتها في سبيل تحصيل الفهم المعتدل المناسب، فمغالطات كثيرة اعتمدها شروش هي لغوية بالأساس: فمن أدلة التثليث عند شروش ورود:"

ألوهيم بصيغة الجمع في التوراة، أوما جاء في سفر التكوين الإصحاح الأول: وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا " بالرّد: أنّ في العربية – لغة شروش الأولى- كما اللغات الأخرى نوعين من الجمع: واحد يدل على العدد الكثير، وآخر يقصد منه التّبجيل والتّعظيم فقط.

- وأمّا الرّد على أنّ الإنجيل هوكلمة الله، فحاجج ديدات على نقض هذه الدعوى بالأدلة التالية: هو أعجب كتاب في العالم، فيه ٦٦ كتابا (بالنسبة للبروتستانت، و٧٣ بالنسبةThe brible يقول شروش:" الإنجيل للرومان الكاثوليك) تمت كتابته عبر فترة زمنية بلغ مداها أكثر من ١٠٠٠ عام على يد أكثر من أربعين كاتبا، قُتل بعضهم وكان بعضهم فقيرا، وبعضهم غنيا، وبعضهم طاعنا في السن، واتّضح أنّ الإنجيل هووحي الله لأنّ المؤلف واحد هوالروح القدس "، لقد استكشف ديدات مكامن التهافت في هذا النّص ووجد ما يميزه التناقض المنطقي، إذ كيف يكون الوحي طوال هذه المدّة الطويلة على أولئك الكُتاب؟ألا يدل إذن على أنهم أصبحوا رسلا؟، ولكنهم مجهولون، كيف نثق فيهم وفيما يكتبونه؟ ثم إنكم تنكرون "الوحي"، وتعدون الكتاب المقدّس قصة حياة المسيح يكتبها من يشاء لمن يشاء، ثم لوكان الإنجيل كلمة الله لما وجدت في هذه الأناجيل تناقضات واختلافات خطيرة جدا، فكلام الله من المستحيل أن يوجد فيه تناقض، فإذن باستعمال قياس الخلف هذه الأناجيل موضوعة من أناس في الغالب مجهولون:فهوليس كلام الله، وكلام عيسى ولا حتى حواريه، أوفيه كثير ممّا هوليس من كلامهم، أي بالمحصّلة الإنجيل كتاب محرّف.

د- استراتيجيا الرد والمدافعة:

لا يتوجّه أحمد ديدات إلى شروش أنيس بعدّه المتلقّي الوحيد في حجاجه، إنّه يستهدف متلقّين آخرين، هم الحضور الشاهد أطوار المناظرة، وكلّ المستقبلين الذّين يمكنهم مشاهدتها بعد تسجيلها أوإعادة كتابتها ونشرها بلغات متعددة، أي أنّ هناك جمهورا على اختلاف قناعاته، ودياناته مُستهدفٌ، ولذلك نفهم الأسلوب العلني للمناظرات الذي يراهن عليه ديدات لوصول رسالته لأكبر قدر من المتلقين في العالم.

نؤكد على ارتباط فعل المدافعة بالمتلقي ووضعيته، حيث يتمّ بفضلها حسب خطّة ديدات:

- إثبات بطلان دعوى الخصم / المحاجج أنيس شروش وفساد أركانها، وينتج عنه بالنسبة للمتلقي المعتقد اعتقاد شرّوش ضرورة ترك هذا الطرح وتغييره إلى البديل المقدّم من ديدات.
- إعطاء ثقة أكبر لكلّ المسلمين تُناصر مواقفهم، وتُثبّتهم على دينهم ومعتقدهم باعتباره الحق فعلا.
- طرح التّصوّر الأفضل للدّين الحق أمام جموع الملحدين.

تكون استراتيجيا الرّد والمدافعة بدفع كلّ الشّبهات والأباطيل التيّ روّجتها المسيحية المحرّفة عن الإسلام والقرآن والرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وسلم.

ه- استراتيجيا الإشهاد والتّبرير:

"وهي من صنف الإستراتيجيات الجامعة التيّ تتوحّد في محيطها جلّ الاستراتيجيات الخطابية، وتتجمّع في دائرتها كلّ السّياسات القولية، لأنّ الاشهاد باعتباره إثباتا وتمكينا، والتّبرير باعتباره رفدا وتقوية هما أثران قوليان من عمل الخطاب الذّي يتّجه وجهة إقناعية ناجحة ترمي إلى كسب طاعة الجمهور / المتلقين."(١٦) لقد كان منهاج (١٧) ديدات في مناظراته كما أكد هومستمد من قوله تعالى:" وقالوا لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هودا أونصارى تلك أمانيّهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " البقرة /١١١، أي هوعقلي بالأساس يقوم على المطالبة بالدّليل، سواء على دعواه، أم على دعوى الخصم لذلك تصح القاعدة التّداولية الحجاجية: إن لم تقدّم دليلك على دعواك كان ذلك دليلا ضدك، لذا كان دأب ديدات إثبات دعواه بكلّ الوسائل المتاحة: نقليّا من القرآن الكريم، وعقليا بتمحيص نصوص كتب الأناجيل بدقة ومصداقية أثارت الإعجاب من المناظرين أنفسهم، وغير ذلك من الوسائل.

و- استراتيجيا التّعاقد والتواطؤ:

يؤكّد ديدات على إبقاء أواصر الوصل بينه وبين المتلقي (شروش/ والمتلقي العام خاصة غير المسلم) قائمة، بالتأكيد على أفكار / عوامل التوافق بينه وبينهم من مثل:الإيمان وضرورته، والتّأكيد على أنّ المسيحية الحقة هي ديانة توحيدية مثل الإسلام، وإبراز عظم قدر عيسى عليه السّلام وأمّه الطاهرة التي لها سورة كاملة في القرآن الكريم باسمها، وهي

على تأليهها في المسيحية لا يوجد سفر أوإصحاح باسمها...بل إنّ المسلم -كما يكرّر ديدات دوما – لا يكون مسلما إذا لم يؤمن بعيسى وأنه رسول الله، وميلاده معجزة، وأنه أحيى الموتى بإذن الله تعالى، وأنّه بشّر بمقدم آخر الرّسل سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

التّركيز على هذه الرّوابط والعلائق الموصلة المحاج بالمحجوج خصوصا في الابتداء يُنتج حالة من الرّاحة والاطمئنان لدى المحجوج تهيّئه بشكل مناسب لاستقبال وتلقي باقي الخطاب الذّي يحمل الدّعوى دون عصبية أوغضب أوشكّ.

٤-أحمد ديدات واللّغة العربية:

يعي المرحوم أحمد ديدات معاناة المسلمين غير العرب غير الناطقين بالعربية، فحتّى لوتوفّر لهم حفظ القرآن الكريم تبقى إشكالية فهمه قائمة، محتاجة إلى تذليل، وليس لذلك حلّ أنجع من تعليم العربية ونشرها في البلدان غير العربية، بل إنّ موقف ديدات الداعي إلى جعل اللّغة العربيّة اللّغة الرّسمية في جميع البلدان الإسلامية ليعد موقفا عقلانيا منطقيا دينيا قبل أن يكون تعصّبا للغة العربية التي هي أساسا ليست لغته الأم.

إنّ تعليم اللّغة عموما وفق الأغراض منهج يؤتي أكله جيدا خصوصا إذا توفّرت وراءه سياسة تعليمية واعية، تأخذ بعين الاعتبار وضعيات المتعلّمين غير العرب، وظروفهم ودافعيات المتعلّم لغرض ديني، ولغاتهم الأم وعلاقاتها باللغة العربية، واستثمار كل الوسائل التكنولوجية المتاحة....

لقد وجدتُ في المناظرة محاولة شرّوش التأثير على المتلقي العام وليس ديدات بالتّحديد باستغلال القرآن الكريم والإيهام بأنّ فيه ما يثبت دعواه، والمتلقي العام غير العربي حتّى ولوكان مسلما سينتج لديه شك في معتقده إن لم يتمّ الرّد على المغالطة التي لابد أن يستفاد من القرآن الكريم نفسه في ذلك إنّما ليس قبل فهمه ومعرفة طرحه، أجد نفسي مع ما تؤكد عليه اللّسانيات المعرفية من أنّه لا انفصال في اللّغة بين الشّكل والمعنى، بين الدلالة والتداول، ولذلك تصدق الحقيقة القديمة الدّائمةعن الارتباط الجيني بين القرآن الكريم واللغة العربية والإسلام، وإنّ من سبل النّجاح الدّعوي الإسلامي نشر اللّغة العربيّة وتعليمها للنّاس جميعا ولم لا.

الخاتمة:

أجمل أهم نتائج الدراسة فيما يلي:

١- المناظرة واحدة من أخطر أجناس الخطابات الحجاجية، وإذا كانت الغاية منها البحث عن الحقيقة فقط كانت فعلا أرقى نموذج حواري عقلي تداولي بشري.

٢- المناظرة في فكر أحمد ديدات أهم آليات الدّعوة إلى الإسلام، ومواجهة حملات التنصير التّي تنفق عليها الدول المسيحيّة المال والجهد بشكل لا يصدق.

٣- اعتمد أحمد ديدات استراتيجيات عدة، اعتمدت كلّها على استكشاف مواطن الخلل، ومواضع الغلط في خطاب شروش المتهافت لينطلق منها في مواجهة / وتبكيت هذا الفكر، ردّا على كل الأباطيل التي تنسب للإسلام، مشهدا على دعواه بأدلة نقليه وعقلية وعلمية ولغوية لا يرفضها إلاّ المجنون أومتعصب أوجاحد.

٤- يعرف ديدات أهمية اللّغة العربيّة التّي نزل بها القرآن الكريم، فتفكّر القرآن وتدبّره بلغته التي نزل بها يوفر فرصة فهمه الفهم الأنسب، في كلّ مناظراته يذكر الآية القرآنية بالعربية، ثم ترجمتها، ثم شرحها، ومع اهتمامه بلغات المتلقّين جميعا إلاّ أنّ تعليم العربية واجب مكمّلٌ لواجب نشر الإسلام والدّعوة إلى مبادئه.

ولذلك ندعوجميعا إلى تعليم العربية وفق الغرض الديني، ولأن ذلك الغرض يمس كل جوانب الحياة سيصل المتعلم غير العربي للعربية إلى مرحلة تصبح العربية ليست فقط أداة ولوجه عالم القرآن الكريم، لكن التواصل في الحياة عموما، إنني أؤكد أنّ أعمال المرحوم ديدات ومجهوداته الدّعوية الجبّارة لتعود بالخيرات على المسلمين والإسلام واللغة العربية جميعا.

الهوامش:

١- الحجاج عند بيرلمان: "درسٌ تقنيات الخطاب التّي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يُعرض عليها من طروحات، أوأن تزيدَ من درجة ذلك التسليم "ل:"يجعلَ العقول تذعن لما يُطرَحُ عليها، أويزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجحُ الحجاج ما وُفّقَ في جعل حدّة الإذعان تقوي درجتُها لدى السّامعين بشكل يَبعثُهم على العمل المطلوب إنجازه، أوالإمساك عنه، أوما وُفّق على الأقلّ في جعل السّامعين مهيّئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة ". انظر: علي الشّبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والإستراتيجيات، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠.

٢- فيليب بروطون، الحجاج في التّواصل، ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التّهامي العلمي. ط١. المركز القومي للتّرجمة.ص ٣٢.

٣- انظر: رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ص ٨٦.

٤- المرجع نفسه، ص ٨٨.

٥- نأخذ المناظرة الموجودة بالصورة والصوت بصيغة مكتوبة، ومترجمة للعربية: مناظرة العصر: أحمد ديدات وأنيس شروش بقاعة ألبرت لندن، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، والمتناظرين هما:

× - المرحوم أحمد ديدات: داعية إسلامي، يستخدم أحدث الوسائل العصرية في نشاطه الدعوى للتعريف به، وقد أنشأ من بين ما أنشأ مركزا عالميا للدعوة الإسلامية بمدينة ديربان في جنوب إفريقيا، وله مناظرات كثيرة مع كثير من علماء الدين المسيحي، وقد أسلم بعضهم على يديه بالإضافة إلى الكثير ممن تابعوه.

× - أنيس شروش: فلسطيني، هاجر إلى أمريكا عام ١٩٤٨، حاصل على ليسانس الآداب، والدكتوراه في اللاهوت المسيحي من جامعة ميسسبي، يجيد اللغة العربية، والإنجليزية، واليونانية القديمة واللاتينية.

٦- انظر: المرجع نفسه، ص ١٨، وكما ترى فإن توظيف الاستعارة في الخطاب أمر ضروري، فتقديم المغالطة على أنها مرض والفكر جسد لا يقصد به التزيين الجمالي، بل التقديم والوصف والشرح، مما يثبت الطرح المعرفي للاستعارة عندما يعدّها وسيلة فكرية تصورية لا لغوية.

٧- انظر، المرجع نفسه.

٨- توجد تصنيفات عدة للمغالطات، نستفيد خاصة من عمل رشيد الراضي، مرجع مذكور، وكذلك: حسان الباهي: المغالطات في الخطاب اليومي: مقاربة تداولية، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي العلوي عالم الكتب الحديث، ط١، إربد الأردن: ٢٠١١.

٩- انظر: حسان الباهي، مرجع مذكور، ص ٣٨٥.

١٠- انظر:رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، ص: ٣٣-٣٤-٣٥.

١١- نفسه: ص ٤٣.

١٢- محمد عزت الطهطاوي، النصرانية والإسلام: عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة، ص ١٤٩.

١٣- انظر: علي الشبعان: مطارحات في الحجاج التأويلي، أوكيف تبعث الخطابة من رمادها، مكتبة المتنبي، ١٤٣٦هـ، ص ٢٤٦.

١٤- انظر: علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص ١٨٩.

١٤- عن الاستعارة التصورية: لايكوف وجونسن: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠٩.

١٥-أستفيد في تصنيف هذه الاستراتيجيات من عمل الدكتور علي الشّبعان، الحجاج والحقيقة...مرجع مذكور.

١٦- المرجع نفسه.ص ٣٢٦.

١٧- انظر: حوار ساخن مع داعية العصر. ترجمة محمد عبد القادر الفقي، ص٧٧.